سرنا مع العظم في المنهج نفسه ، نستطيع أن نقول أيضا ، ما ذنب المواطن الاميركي ابن العامل والموظف الصغير ، والمواطن الاميركي « المنبوذ » والمحروم حتى من حقوقه المدنية (السود مثلا) عن جرائم الامبريالية الاميركية في فيتنام ، وما مصلحته في القتال ودفع حياته ودمه عربونا ليصب في النهاية في صندوق الاحتكارات الرأسمالية الامبريالية ، وما هو دوره في تنفيذ سياسة « الطبقة الحاكمة الامريكية » وما هي مسؤوليته في كل ذلك ليقتل على يد الفيتكونغ والجيش الفيتنامي الشمالي !؟ الجواب : لا شيء . ولكن هذه هي طبيعة الحروب، حرب التحرير أو حرب الامبريالية .

ولذلك فان مسألة خطف الطائرات ، لا تناقش من هذه الزاوية ، بل من زاوية وظيفة هذه الاعمال « العسكرية » اذا صح التعبير في تحقيق الهدف السياسي — التحرير، وضرب المؤسسات الصهيونية والاحتكارات الامبريالية . كما ان مثل هذه القضايا المغامرة لا يمكن تحديد موقف صحيح اتجاهها الا بوضعها في الاطار الذي حصلت فيه والظروف المحيطة بها ، التي دفعت المنظمات للقيام بمثل هذا العمل . لان العمل الارهابي — المغامر له وجهان ووظيفتان ، وجه ايجابي ووجه سلبي . ففي مرحلة الانحسار الوطني وفي حالة اشتداد الهجمة الرجعية الشرسة ضد القوى الثورية وفي ظرف بروز الوجه القمعي المطلق لديكتاتورية الطبقة الرجعية الحاكمة وفي وقت تضييق عملية الخنق ضد قوى التحرر ومنعها من التحرك ولو الجزئي ، فان العمل الارهابي — المغامر مبرر تاريخيا على الاقل ، اذ انه يصبح من ضرورات المعركة ، وأحد أساليبها التكتيكية لا الاستراتيجية ، عدا عن كونه نتيجة لعملية الخنق المتبع والطوق المحكم بشدة حول عنق الجماهير . فأي عمل ارهابي — مغامر يساهم في فتح ثغرة في جدران القلعة المحكمة الاغلاق ، دون ان يؤدي طبعا الى سقوط « الجدران » وانهيار « القلعة » فهذا من مهمة الجماهير ودورها التاريخي واستهدافاتها الاستراتيجية .

ماوية فتح

وناتي الى النقطة الثانية في دراسة العظم ، وهي مناقشته لاطروحات « التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي » وبالتحديد لادبيات فتح وخلفياتها السياسية .

وفي هذا الموضوع نقول سلفا بأننا نوافق على مجمل ما ورد في مناقشات العظم وتحليلاته تقريبا ، لاننا نرى بأن اسطوانة «التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي » ترتفع انغامها عندما يطرح موضوع التحرير الاجتماعي — الطبقي كعلاقة ديالكتيكية مع التحرير الوطني ، مما يدفع بعض القوى الرجعية اليمينية والقوى المحافظة التي تدعي زورا بأنها « وطنية » وتؤمن « بمرحلة التحرير » و« تقديم التحرير الوطني على التحرير الاجتماعي » الى التشديد على موضوعات التناقضات و« اللعب » على التناقضات ، فتبدأ بترتيب سلم التناقض وأولوياته وثانوياته بدرجات متفاوتة تتناسب مع حجمها الطبقي ومصلحتها الطبقية ، أو تبدأ بتفصيل التناقضات وتدريجها لتتناسب مع قياس الطبقة الرجعية الحاكمة ، من الانظمة البورجوازية الى أنظمة التحالف الاقطاعي — البورجوازي ، وذلك كخطة لتبرير تراجعها الوطني وكخدعة للابقاء على علاقاتها مع الانظمة الرجعية وعدم قطع خيوط ارتباطاتها المشبوهة .

ولهذا نرى بأن سماسرة التناقضات ، وتناقض التناقضات ، يبدأون ببيع الجماهير اطنان التعابير التي تدل على خلفية سياسية رجعية ، تطمح في النهاية لا الى تحرير الارض ولا تحرير الانسان ، بل الابقاء على الوضع الراهن كما هو من خلال تلاعبها بالالفاظ ورقصها على أنغام التناقضات ، من « التناقض الاكبر والتناقض الاصغر » و« التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي » الى « التناقض الاساسي والتناقض الفرعي » . هذا لا يعني بالطبع اننا نرفض تحديد أولويات التناقض وثانوياته ، ولا الى الاستنكاف عن استعمال المنهج الديالكتيكي لفرز الاعداء من الاصدقاء، وتبدل الاعداء والاصدقاء في كل مرحلة تاريخية ، ولا الى عدم التمييز بين التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي او التناقض الاساسي والتناقض الفرعي ، لاننا نرى بالمقابل انه طالما هناك انتهازيون يمينيون يستغلون مبدأ تحديد التناقض وترتيب التناقضات ، فانه هناك ايضا انتهازيون « يساريون » يضعون العالم في سلة واحدة ويطلقون عليه النار دفعة واحدة ، لا تتعدى حدود المقالات والبيانات والكتب ، وبالتالي باسم الثورة يتبع « الثوريون » في منازلهم يحاربون العالم دفعة واحدة من وراء متاريس طاولاتهم ومقاهيهم . يقول العظم : « ان الكفاح ضد الغزو الامبريالي مرتبط بصورة جدلية بالصراع الطبقي ولا يجوز طرح القضية على أساس انها اما تحرر وطني أو صراع